

تقديم مركز نهوض للدراسات والنشر

قد يستغرب القارئ إقدام مركز بحثي عربي على ترجمة كتاب (الإسلام والتحديث: مشروعات التحديث في العالم الإسلامي ١٨٤٠ - ١٩٤٠م) لتشارلز كيرزمان الصادر عام ٢٠٠٢م؛ الذي يجاوز كم صفحاته ست مئة صفحة!! بينما هو في الأصل ليس كتاباً؛ بل مجرد تجميع وترجمة لنصوص رواد التجديد الإسلامي الحديث، إلى اللغة الانجليزية.

فما قيمة أن نستعيد من اللسان الإنجليزي إلى اللسان العربي نصوصاً لمحمد عبده مثلاً أو الأفغاني أو الطهطاوي أو خير الدين التونسي أو قاسم أمين، أو محمد رشيد رضا...؛ بينما أصولها العربية في متناول اليد؟! أي فائدة إذن لهذا السفر الضخم؟

وما المبرر الذي دفعنا لنقله من الإنجليزية إلى اللسان العربي؟

ليس من قبيل المبالغة إذا قلنا بأنه لا توجد دراسة عربية جمعت نصوص رواد التجديد بهذا الشمول والتنوع الذي نجده في هذا الكتاب المتفرد.

ثم إذا كانت نصوص رواد الإصلاح والتجديد كعبده والأفغاني ورشيد رضا... موفورة في المكتبة العربية، فإن قيمة هذا الكتاب الموسوعي هي أنه توسّع في تتبّع حركة التجديد الإسلامي ورصدها في مختلف أقطار العالم، حيث نجد نصوصاً ثمينة لرواد ربما لم يسمع بهم القارئ العربي من قبل، مثل: «عبد الله عبد الرحمن» من جنوب إفريقيا، و«أمين بن علي المزروعى» من كينيا، و«ناميك كمال» من تركيا، و«محمود طرزي» من أفغانستان، و«إسماعيل بك كاسبرنسكي» من القرم، و«عبد الله بوبي» و«رضا الدين بن فخر الدين» و«موسى جار الله بيكليف» من تارستان، و«منور قاري» و«عبد الحميد سليمان شولبان» من أوزبكستان، و«عبد الرؤوف فطرت» من

بخارى، ويعقوب وانغ جينغ تشاي من الصين، و«أحمد دحلان» من إندونيسيا... هذا إضافة لمفكرين كان لهم صيت في العالم العربي بفعل ترجمة بعض نصوصهم كمحمد إقبال وأحمد خان...

وهذا الرصد الشامل يجعل هذا الكتاب بحق أهم مرجع جمع نتاج مفكرى النهضة الإسلامية ورؤاهم، مما يوفر للباحثين إمكانية توسيع النظر في نتاج العقل التجديدي المسلم إلى خارج المدار العربي.

ومن فوائد هذا الجمع أيضاً، أننا نلاحظ اشتراك مختلف رواد النهضة الإسلامية في الأسئلة الإشكالية ذاتها، التي مدارها كيف نستعيد النهوض والتقدم، وكيف نتفاعل مع مستجدات العصر ومستحدثاته في الفكر والسياسة والاجتماع؟

وفي هذا السياق يتميز الكتاب بانتقاء أهم المساهمات الإصلاحية لمفكرى الحضارة الإسلامية في العصر الحديث؛ حيث درس كيفية تناول رواد الإصلاح والتجديد لأسئلة الحداثة وإشكالاتها، مستنتجاً أن حاصل إسهاماتهم كان بلورة لنموذج إسلامي تجديدي تفاعل مع شروط اجتماعية، مستلهماً أصول ثقافته الدينية، لتأصيل رؤاه وأفكاره.

ومن الملاحظ أن المؤلف أطر بحثه بين عامي ١٨٤٠ - ١٩٤٠م، أي في مجال زمني يساوي قرناً كاملاً. وهذا التأطير له - في تقديرنا - مسوغه التاريخي، إذ بين ١٨٤٠ و١٩٤٠م جرت أهم الأحداث التاريخية التي حركت العالم الإسلامي، وأيقظت فيه حركة فكرية نشطة.

ومما يمتاز به هذا الكتاب هو أنه توسع في عملية الرصد؛ حيث تتبع تفاعل العقل المسلم مع مشكلات النهضة والحداثة في إفريقيا وإيران وتركيا والهند وروسيا والصين... فكان بذلك أوسع مرجع يتضمن خلاصة الفكر الإسلامي الحديث.

وهذا التوسع والشمول ليس وافراً بمعيار الجغرافيا فقط؛ بل حتى بمعيار الأسئلة والموضوعات المتناولة. إذ أحسن تشارلز كيرزمان التنوع في انتقاء النصوص بحسب الموضوعات المركزية التي شغلت - ولا تزال تشغل - العقل المسلم مثل: الديمقراطية والشورى والدستور، وعلاقة الدين بالدولة، وقضية المرأة، وإشكالية تجديد التعليم الديني... وغيرها.